أوبرا

زنوبيا

يسرى الأيوبي

عن مسرحية زنوبيا بقلم يسرى الأيوبي - لعام 1970

الشخصيّات

زنوبيا	ملكة تدمر
أذينة	(زوجها الراحل)
لونجينوس	فيلسوف يوناني أستاذ زنوبيا
بول ساموزاتا	يفضّل لقب جابي إمبراطوري على لقب أسقف
سيليوس	هو عمرو في الرواية العربية
زبدة	قائد في جيش زنوبيا، الأكبر سنّا والأوفر شجاعة
ظبي	قائد شاب مرح
مكاريوس	قائد من أصول يونانية
أورليان	قائد روماني، ابن فلاّح من يوغوسلافيا، وكاهنة من معبد إلـه الشمس
زيد اللات	قائد رماة أنطاكية
هرميون	وصيفة يونانية لزنوبيا
نريسا	وصيفة لزنوبيا من أصل فارسي نبيل
ماريا	مربّية أطفالها
كلوديوس	إمبراطور روما
أنطونيوس	عضو من مجلس زنوبيا العشرة
تيم اللات	عبد آبق من أصل سوري
فرموس	تاجر ورق البردي، رئيس وفد التجّار
دانيباب	قائد فرسان أنطاكية
تيبريوس	رسول روما إلى زنوبيا
الأميرة مجد	بنت زنوبيا الكبرى
الأميرة خزامى	بنت زنوبيا الصغرى
الأمير هشام	ابن زنوبيا
الأمير همّام	ابن زنوبيا

(الأميران هشام و همّام هما توأمان وأصغر من الأميرة خزامى بثلاثة أعوام)

الفصل الثالث

المشهد الأول: (ساحة معركة قرب حمص... تدخل زنوبيا وزبدة وظبي وفرسان آخرون متربّلين إلى الساحة الأمامية للمسرح.)

زنوبيا لا يجب ان يتكرر ما جرى قرب أنطاكية

زبدة مولاتي، غدر بنا بول ساموزاتا
أقنع الفرسان بالإنسحاب من المدينة
وأسلمها لجيش أورليان
وهذا ما أثّر في معنويات جيشنا

زنوبيا ما كان هذا يؤّثر بنا
لو لم تقترفوا الأخطاء الفاحشة...
زبدة! كيف انطلت عليكم حيلتهم
فجعلوكم تجهدون في مطاردتهم
ثم انقضوا عليكم وأنتم
فرادى متتابعين؟

زبدة رأيناهم على المواجهة غير قادرين
من أمامنا باضطراب هاربين
فقلنا نعلّمهم درسا، بعده أرضنا لا يطؤون!

زنوبيا تركنا قرب أنطاكية خيرة رماتنا!
(بحزن.)
مسكينة أنت يا هرميون
ويل لحالك!
لم تنعمي بسعادة حتى أصابها المنون
استنفذوا ذخيرتهم وبقوا
بدون حماية من الهجوم معرضين
جنوبهم عارية لسيوف أفواج العدو
المهاجمين!

قوتنا كانت بالتحامنا

زبدة مولاتي سنصحح أغلاطنا

من متطوعة حمص جنّدنا

قوة في صفوفنا

وعسى في الغد أن يجعل الإله لنا

النصر!

زنوبيا جاءني خبر من رامٍ من أنطاكية

أن أورليان قد عفا عن أهل أنطاكية

حتى من قدم لنا المساعدة

ليستميل إليه باقي البلدان!

سيتردد كثيرون عن مساعدتنا

بعد هزيمتنا ويتّبعوا الطغيان!

معركتنا في الغد معركة حياة أو موت

لا تجعلوا النصر لهم ولنا الخذلان!

زبدة وظبي أبدا لن يخذلونا

سيكون يومهم وبيلا

لن يخترقوا أبدا صفوفنا

ولن نجعل لمرورهم سبيلا

زنوبيا لنذهب الآن!

ونستعرض الجيش والفرسان!

(تخرج زنوبيا مع قوادها، ومن الطـرف الآخـر يـدخل أورليان وقواده وعراف.)

أورليان (إلى العراف.)

أيها العراف! ماذا تنبئ أحشاء الكبش

عن معركتنا في الغد؟

العراف الأحشاء كما تنبأت

على الرمل حين أنزلت
بشكل فريد وتربعت
أن النصر حليفنا!
والهزيمة لعدونا!
إضرب بسرعة ولا تترك
لزنوبيا فرصة تجدد فيها قواها!

أورليان لا أستطيع وصل معركة بأخرى
الجيش متعب وسنرتاح الليلة ها هنا
(اورليان يصدر الأمر لنصب خيمته، يقوم أتباعـه بهـذا العمل وآخرون يشعلون نارا ويقومـون بـشواء الكـبش وآخرون يأتون بمعدات الوليمة وسلال الفاكهـة وزقـاق الخمر.)
(لقواده.)
لو لم تساعدنا الآلهة لما انتصرنا
قادتها وفرسانها بواسل
ورماتها أفضل الرماة
وحضورها يلهب الجيش بالحماس
يقولون في روما هازئين
"اورليان يحارب امرأة"
ولا يعرفون أية امرأة
أورليان يحارب!
لنحتفل اليوم بنصرنا
ونجدد في الليل قوانا!
(إلى الحارس.)
ألم ينته الرجال من الشواء؟

(يدخل الخيمة مع قواده، يصل رجال يحملون صينية كبرى عليها الكبش المشوي وصحونا وسكاكين لتقطيـع اللحـم وآخرون يحملون زُقاق الخمر والكؤوس، وغيرهم أطبـاق الفاكهة.. يأكلون الطعام بشره كبير... ينكّتون ويمرحون.)

(يدخل جندي.)

الجندي شرذمة من العرب
هاجمت جيشنا في المؤخّرة
قتلت عددا من الجنود
وسرقت أسلحتهم!

أورليان شراذم العرب ستستنزف قوة جيشي
قبل الالتحام بجيش زنوبيا، أين كان الحراس؟

الجندي كانوا مع الجيش يأكلون
خرج علينا العرب كالشياطين
رجال أشداء جريئون
لا يدري أحد كيف يتسللون
والحراس والجنود يقتلون

أورليان هؤلاء أخطر علينا من جيش حقيقي
ليس لهم مكان لنعاقبهم
ولا كيان لنسحقهم
ينفلتون من يديك كالماء ويتجمعون
وكالعقارب يؤذونك وهم ناجون!

أحد القواد أيها الإمبراطور كنا لينين مع أهل أنطاكية
ففقدنا هيبتنا!
وتجرأ العرب الرعاة علينا

أورليان كنت أبعد نظرا يا يوليوس
إن دفعنا أهل المدن لليأس

تجد زنوبيا من جموعهم قوتها
وحين أعزل زنوبيا يترددون في مساعدتها
خوفا من بطشنا
يقولون "أورليان أرحم بنا"
فليصدر هذا المرسوم:
"أورليان يعلم من ساعد زنوبيا
مجَبرا على هذا خوفا من بطشها
ويعفو عن الجميع
ممن انحرفوا عن ولائهم لروما
أما بعد اليوم
فكل من يساعد زنوبيا
لن ينجو من بطش أورليان
كل مدينة موالية لها
ستنال أقصى عقابها!

المشهد الثاني: (زنوبيا في تدمر.. تدخل نريسا.)

نريسا هل قُتل زبدة يا مولاتي، هل تركته
صريعا نهبا لوحوش البراري؟
زنوبيا ما بك يا نريسا؟ تتكلّمين ذاهلة كمن فقدت رشدها
نريسا كنت أريد أن أكون له محظية
لا أريد أن أنجب له
أعيش من أجله وأموت من أجله
وها هو قد مات! نعم مات
زنوبيا هل كنت تحبينه يا نريسا؟
نريسا أحبه! أحبه! نعم أحبه!
أنت لا تعرفين الحب

الذي يغدو هوسا لها
ويعميها عن ذاتها
زنوبيا كيف لك أن تعرفي يا نريسا!
ما يحويه هذا القلب
بكيت أنا الأخرى
بدموع لفقده حرى
نريسا لا، لا! قلبك الصلد لا يعرف الحب
بكيت مجدك الذي ولّى وليس حبيب القلب!
زنوبيا بأي كلام يا نريسا تهرفين
أليس لدي من المتاعب ما تكفيني
فتأتيني بقصص الحب!
نريسا أنت من اصطاد سعادتي
وحرمتني من الحب
كان مسحورا بك
ولا يحس مثلي بلواعج القلب!
أنت امرأة تدفعين الرجال إلى الموت
لأنك لا تعرفين الحب.
زنوبيا أجمع الرجال حول راية
تجعل الرجال رجالا
ولا أجمعهم حول امرأة
لا ترى أعينهم فيها إلاّ الجمالا
نريسا (باكية.)
ويا لسواد ليلي وبؤسي
لم يكن يرى بعينيه سواك
كنت تسحرينه لحتفه
وتغلقين عن الحب عينيه

فلا يرى أحدا سواك من حوله

زنوبيا ماذا يبقى للرجل إن فقد الراية؟

أسعادته أن يكون بين أحضان متوحشة مثلك

امرأة غيورا أنانية تدمر

أحلام الرجل بالمجد والخلود

أو أن يكون شهيدا في معركة التحرر؟

نريسا سحقا للمجد والخلود

ولكل الكلمات الجوفاء

عن التحرر!

كم حياة نعيش حتى نظفر؟

زنوبيا لن تفهمي يا نريسا أن القدر

يدفع الرجال للتحرر

فإن لم يظفروا كانوا هم الجسر

الذي يلهم الأبناء للتحرر!

نريسا تقولين هذا لتحفظيه لنفسك!

زنوبيا (غاضبة تهب على قدميها تسحب خنجرها، ثم تعيده بهدوء.)

تستحقّين الموت لوقاحتك!

ولكنني لا أريد تلويث يدي بدمك!

لو جرؤ زبدة يوما أن يطارحني الغرام

لألقيت به خارجا، وجردته من سيفه والحصان

إنني أعيش للراية، ولا أعيش لمتعة الرجال!

نريسا (تجهش بالبكاء.)

غفرانك مولاتي!

زنوبيا أغفر لك يا نريسا لأن مداك...

عاجز أن يفهم ما يحوك في أعماقي

ولكنني لا أريد بعد اليوم أن أراك
وقاحتك لا تُنسى فاخرجي من قصري
إنني حررتك... فاذهبي وابحثي عمن يحبك
تعيشين محظية له أو زوجة
كما يحلو لخاطرك!
(تخرج نريسا باكية، يدخل لونجينوس.)

لونجينوس ماذا جرى لنريسا؟

زنوبيا (ساهمة.)
إن من جراء الهزيمة يا لونجينوس
أن أتباعك يتجرؤون عليك
وعدوك يسلبك الشعوب التي تحت لوائك

لونجينوس هل بلغك يا مولاتي شيء جديد؟

زنوبيا كفاني بالحصار وبالا
وجيش أصابه الكلالا
ولكنني أرسلت في طلب مكاريوس
لينجدني ويفك عني الحصارا
ويصلي جيش أورليان نارا سعارا!

المشهد الثالث: أورليان، شيبيو، العراف، رسل
(خلف أسوار تدمر، خيمة أورليان، أورليان يملي على مرافقه رسالة إلى مجلس الشيوخ، الشمس وهّاجة. والعرق يتصبب من جبين أورليان.)

أورليان قل لمجلس الشيوخ...

شيبيو نعم يا مولاي

أورليان قل لمجلس الشيوخ:
تتكلّم روما عن حرب تُشن على امرأة بازدراء
لو أن شعب روما يدري بما ألاقي من عناء

مع امرأة كزنوبيا قلّ مثيلها بين النساء
كل جزء من الأسوار مجهز بالمقالع
ومنجنيقاتها الحربية ترمي النيران
وفوق الأسوار رماة مهرة بتسديد السهام
الخوف من بطش روما سلّحها بإرادة الشجعان!
ولكنني واثق من النصر قصر أو طال الزمان!
(يأخذ الرسالة ويختمها؛ يعطيها إلى رسول خاص.)
(يتوقّف موجها الكلام إلى العراف.)
ماذا أنبأتك تحركات الطيور أيها العراف؟

العراف أيها الإمبراطور المبجل
منذ الفجر وأنا أراقب السماء وأتأمل
راصدا مسيرة الطير
لأعرف إرادة الآلهة في النصر

أورليان إنني أقدم الأضحيات في أوقاتها، فلـم لا تـستعجل لـي النصر؟

العراف مولاي، في لوحة القدر
تبين لي أن حظّكما متعادل
وإصرارك وحده
يرجح كفّتك!
حسبت ما مر عن يميني من جوارح الطير
فتعادلت مع ما مر عن يساري من طير!

أورليان جيشي سيصاب بالمجاعة في الصحراء
وزنوبيا في واحة تأكل التمر

العراف مولاي، اتصل بكاهن معبد إله الشمس في تدمر
فلديه من الأسرار ما يفيك بيقين الخبر

أورليان لا يمكن لطير أن ينفذ من أسوار تدمر!

العراف إبعث برسول إلى زنوبيا يعرض عليها
السلام والانسحاب من أرضها
ونعترف بها ملكة على الشرق
خاضعة لروما كما كان زوجها
أورليان وإن رفضت؟
العراف نرمي البلبلة بين صفوفها
ونؤلّب الناس عليها
كثيرون في تدمر يرهقهم الحصار
ويودون عودة الأمور إلى مجاريها!
أورليان وكيف يتّصل الرسول بالكاهن؟
العراف يطلب زيارة المعبد
لن ترفض زنوبيا ولاء عابد
وإن فعلت نجد مَن يطرد
مخاوفها من نفسها
من رجال في قصرها
باعوا من زمن ولاءهم لنا
أورليان ناد لي تيبريوس
(يخرج العراف.)
(إلى شيبيو.)
اكتب يا شيبيو!
من أورليان إمبراطور روما
إلى سبتميا الملقّبة بزنوبيا!
إنني وجيشي ننسحب من المناطق التي أخضعناها
ونبقيها على عرشها
ونعترف بها ملكة على الشرق
خاضعة لروما كما كان زوجها.

(يرجع العراف مع تيبريوس.)
اسمع يا تيبريوس، سأعطيك رسالة
تسلّمها إلى زنوبيا!

العراف: واطلب زيارة معبد إله الشمس
فهناك يختبئ أنطونيوس عند كاهن المعبد
تنبه واستمع منهما إلى أخبار القصر!

المشهد الرابع: (قصر زنوبيا، قاعة العرش. يدخل سيليوس.)

سيليوس: مولاتي، إن وفدا من التجار
يرغبون في مقابلتك...

زنوبيا: لينتظروا قليلا... هل راقبت الرسول
الروماني وهو في معبد الشمس؟

سيليوس: نعم يا مولاتي.

زنوبيا: ألم تلاحظ أمرا مريبا في تصرفاته؟

سيليوس: أبدا يا مولاتي، أبدى للكاهن إعجابه
بالبناء الرائع للمعبد.. لم يتحدث مع سواه
فقط كانت نريسا تتسول قرب باب المعبد
مدت يدها إليه فأعطاها قطعة من ذهب

زنوبيا: نريسا! الناكرة للجميل تستحق هذا المصير،
من نسل ملكي ولكن أخلاقها أخلاق العبيد
هل رافقت الرسول إلى خارج الأسوار؟
لتكشف للعدو لنا الأستار؟

سيليوس: نعم يا مولاتي!

زنوبيا: يظن أورليان أنه باستطاعته خداعنا
ينصب الشراك لنا للإيقاع بنا
ولكنني واعية لما يحيك ويكيد لنا

سيليوس مولاتي، كان رائعا من الرسول موقفك
سيتحدث عند أورليان عن قوتك واستعدادك
زنوبيا هل جعلتموه يرى ما نملك من قوى
قادرة على الصمود الطويل؟
سيليوس نعم يا مولاتي، كان الدهش يبلغ به مبلغه
وأثّر فيه كثيرا سماحك له
بزيارة معبد الشمس
زنوبيا نحن نحمل للعالم روح التسامح لا التعصب البغيض
وما رآه منا غيض من فيض!
سيليوس لست أشك حين يبلّغ أورليان بما رأى
ينسحب صاغرا لا ينال منا قلامة ظفر
زنوبيا صمودنا هو ما يقرر ظفرنا والنصر!
(تذكر وفد التجار.)
جعلنا وفد التجار خارجا ينتظر
فليدخلوا! سأقابلهم هيا إني أنتظر!
(يخرج سيليوس، ويدخل وفد التجار، وينحنون لزنوبيا.)
هل من حاجة أقضيها لكم؟
ليتحدث عنكم كبيركم!
أحد التجار (مشيرا إلى شيخ منهم.)
هذا أبو عمرو شيخنا
سيتحدث عنا وبلساننا
زنوبيا نعم يا أبا عمرو
أبو عمرو مولاتي، أطالت اللات حياتك
عرفنا العز والرفاهية في عهدك
تدمر أصبحت علما قدوة الأمصار في حكمك

والشعوب جميعها تتطلّع إلينا وتتنسم أخبارنا
وترجو لتدمر النصر!

زنوبيا سنحقق رجاء العالم فينا

أبو عمرو ولكن يا مولاتي، إلى متى ننتظر؟
طال علينا الحصار ونحن ننتظر
كسدت تجارتنا والقوافل اتّخذت
طريقا غير طريقنا، فإلى متى ننتظر؟

زنوبيا أعلم بالضائقة التي تلح عليكم
وتُفقدكم صبركم
ولكن ما شعب صبر
إلاّ فاز بالنصر
من أجله نضحي بالأرواح
فضحوا قليلا بالرفاهية
ما شعب صبر
إلاّ فاز بالنصر!

أبو عمرو مولاتي، فرصة ذهبية
تلك التي يعرضها أورليان للسلام
أخشى أن نندم لو رفضنا التسوية
لتعود المياه إلى مجاريها

زنوبيا (مستاءة.)
تعود المياه إلى مجاريها!
نعود إلى دفع الجزية الباهظة لروما
لأن صبرنا نفذ؟
ومللنا أكل ثمار النخيل وشرب اللبن!
لا يا أبا عمرو، أنت تبحث في حاضرك
عن سهولة العيش لا عن حريتك!

نحن من نحمي أمن روما
وندفع ضريبة الدم لها
ونحارب أعداءها
ليبقى الطريق
الأسطوري ملكا لها
أدعوكم إلى قدر جديد إن صبرتم
إلى عز يدوم، يعيش فيه أحفاد أحفادكم
إلى حريتكم، إلى مجدكم، والشرق ملك يمينكم!
لا يغرنّكم ما ترونه من قوة روما
روما شاخت تجدد بقاءها بدماء شعوبكم
ليست روما إلا كما كان لنا شابور
فزاعة لطيورنا
سنهزمها كما هزمنا شابور
وجيشها الذي يحاصرنا
سينصرف عاجلا أم آجلا إن صمدنا!

أبو عمرو: أورليان يا مولاتي، يطلب من بلاد الشام
الامدادات البشرية والمؤن
وإلاّ سيقوض فيها المدن
ويجعلها ركام

زنوبيا: صمودنا هو ما ينقذ إخوتنا
عرض علي شابور أن يرسل إلي الإمدادات
فرفضت لأنني أجد نفسي في موقع قوة
ولا أريد مساعدة أدفع بعدها الثمن
(يدخل رسول.)

الرسول: مولاتي، بعث بي القائد ظبي
لأبشّرك بانسحاب جيش أورليان

(هرج ومرج، فرح وتهليل وتصفيق.)

زنوبيا (متمالكة أعصابها.)
علينا أن نكون على حذر

سيليوس لا بد أن مشاهدة الرسول أحدثت الأثر

زنوبيا علينا يا سيليوس أن نكون على حذر
ونبقي استعداداتنا على حالها
حتى لا يبين لجيش أورليان من أثر
وأعلم أن البلاد التي غزاها
انسحب منها وعاد إلى روما
الشعب يؤخذ في غفلته
ولا يؤخذ مع الحذر
وهذا ما يقرره قضاء القدر!
(يدخل رسول آخر.)

الرسول شاهدنا من فوق الأسوار
قافلة آتية من مصر

زنوبيا (واجمة.)
قافلة؟

كورس التجار ـ مولاتي، اسمحي للقافلة أن تدخل تدمر
ـ زال الخطر يا مولاتي، فلتدخل القافلة تدمر
ـ منذ مدة تجارتنا كاسدة
ـ ونزلنا خاوية
ـ وعائلاتنا طاوية
ـ وأطفالنا ضاوية
ـ اسمحي يا مولاتي للقافلة أن تدخل تدمر

زنوبيا مهلا، مهلا، أرى فراغ صبركم
ولكن علينا أولا تثبت الانسحاب!

كورس التجار ـ لم تمر قافلة أخرى قبل الغياب!
ـ دعينا نرتزق
ـ دعينا نطعم عيالنا
ـ نزلنا خاوية
ـ وعائلاتنا طاوية
ـ وأطفالنا ضاوية
ـ اسمحي يا مولاتي للقافلة أن تدخل تدمر

زنوبيا ماذا ترى يا سيليوس؟

سيليوس الرأي رأي مولاتي

زنوبيا ليس قلبي مطمئنّا

سيليوس ليس ما يُخشى والجيش انسحب

أبو عمرو ليس ما يُخشى والجيش انسحب

(ينفرط عقد التجار محاولين التسابق إلى الخارج للحـاق بالقافلة.)

زنوبيا لم أُصدر أوامري بعد!
(إلى سيليوس.)
لتدخل القافلة!

التجار ـ أطالت اللات حياتك
ـ ليزدهر موسمك
ـ لنذهب ونرتزق
ـ وصلت القافلة!
ـ وصلت القافلة!
ـ لتفرح تدمر بانتهاء المعركة
ـ ولتزدهر التجارة
ـ إلى العمل والكسب الحلال
ـ نشرب من ماء زلال

ـ كفانا قيلا وقال
ـ وعويل الموت
ـ وهدر الرجال!
ـ إلى القافلة! إلى القافلة!
ـ وصلت القافلة! إلى القافلة!
ـ انتصرت تدمر وهُزم أورليان
ـ وانتهينا من سيَر الحرمان
ـ فلتفرح تدمر بانتهاء الطغيان
ـ ولتزدهر التجارة!
ـ إلى القافلة! إلى القافلة!
ـ إلى القافلة! إلى القافلة!
(يخرج التجار مهرولين.)

زنوبيا (إلى سيليوس.)
الحق بهم لئلاّ يتنازعوا
واترك الصناديق على حالها
حتى الصباح!
قم ورجالك على حراستها
والصناديق أنزلوها
والجمال أريحوها، إسقوها واعلفوها
حتى يأتي الصباح!
(إلى لونجينوس.)
لم أُصدر أمرا انقبض له قلبي
مثل هذا المساء
(تنظر إلى الخارج.)
ما للجمال مشيها وئيدا
أجندلا يحملن أم حديدا؟

سيليوس (لنفسه.)
بل الرجال جثّما قعودا!!
زنوبيا (إلى لونجينوس.)
أنا أعيش في واد وهم في واد
يريدون نصرا خاطفا ليقطفوا الثمار
حماسهم، حميتهم تزول لو طال الحصار
ما أصعب أن أوازي بين مجد أمة ومصلحة التجار!
هم قوتي وضعفي حين أحمل راية الأحرار!
(يعود سيليوس.)
سيليوس كانوا يريدون استعراض السلع
قبل غروب الشمس
ولما وقف الحرس دونهم وأمرك بلّغ
بلغ استياؤهم مداه!
ثم انصرفوا إلى بيوتهم في يأس
يلعنون ويتمتمون
هؤلاء التجار لا يؤمنون
إلا بمن يُربحهم ويكفرون
بمن يغرمهم!
زنوبيا آه! ماذا كانوا يفعلون؟
لو طال عليهم الحصار
أكانوا يهدمون الأسوار؟
سيليوس يفعلون! يلتهمونك كما يأكلون
في المجاعة آلهتهم التمرية
ولا يبقون منها بقية!
زنوبيا (ضاحكة.)
على ذكر الأسوار

إذهب يا سيليوس وتأكّد
من الحراسة الجيدة للأسوار
إنني لا أطمئن لانسحاب أورليان!

سيليوس سمعا وطاعة يا مولاتي!

زنوبيا أنا ذاهبة لأتفقّد الصغار
ثم أنام! منذ ليال وأنا لا أنام!
(تخرج زنوبيا ولونجينوس.)

سيليوس (مستفردا يغنّي.)
أية لآلئ منسجمة تبرق في ثغرها
حين تضحك
زنوبيا، لا تدرين بالقلب الذي يحترق
بلواعج حب مكتوم لأجلك
ألف جريمة أقترفها لأنالك
أقضي على كل مَن تمتد عيناه نحوك
لا ظبيَ لا أنطونيوس يملكك
وحده من يشتعل قلبه بحب جارف
سيليوس القميء سيبقى لينال نظرة عطف
نامي أيتها الكبرياء التي لا تُنال
فغدا أمرغ كبريائك
طيعة بين يدي
كعجينة من تمور طرية أجعلك!
غدا سيصبح سيليوس سيد تدمر
سيد زنوبيا، بين شفتيه المصائر
لن يفلت من أعدائه طير طائر
الليلة ترتفع نجوم في كبد السماء
وتهبط نجوم؛ وتقرر من شفتي المصائر

نامي يا زنوبيا أنت لا تعرفين كما أعرف
روح تدمر، روح التجارة والتجار
نامي يا زنوبيا، إلى أن يأتي الغد بالبشائر
تخلّي عن مكانك لمن يعرف هذه الروح
التي خدعت بها طويلا ويعرف كيف يشرى الرجال
آه زنوبيا! رحمة بمأساتي! لا طعم للحياة بدونك
عدوا عاشقا أنوء بمأساتي! أتمنّى لو أعجنك
وأصنع منك معبودا، أو آكلك
في نهم قلبي لحبك إن رفضتني!
الحب والكره في روحي يتنازعاني
أنقذ زنوبيا! حطّم كبرياء زنوبيا
أنا لست جديرا بحبك يا زنوبيا
ولكنني أهواك!
أحبك حب الملوث للنقاء
حب المريض للشفاء
حب الوضيع للكبرياء
كيف ترضين بي؟ كيف يكون بيننا لقاء؟
إلاّ أن أجردك من كل ما أنت عليه من كبرياء!
سأجعل دنياك قفرا حولك
ليس فيها حبيب محتمل ولا أصدقاء!
وحين أخيرك بين الموت وحبي قد أنالك
امرأة لي وحدي: معبودة دون طموح،
دون عرش، دون تاج!
سأجعل دنياك قفرا حولك
ليس فيها حبيب محتمل ولا أصدقاء!
أسمع قرع الأجراس وقد رنّت

انتصف الليل والساعة أزفت
إلى الصناديق المحملة بالرجال
وبالسيوف والنبال
ولتدك الأسوار
وتسقط العمد وتنهار
قبل أن يتحول الظلام إلى نهار!
(يخرج سيليوس من باب، وتدخل زنوبيا من باب آخر.)

زنوبيا أسمع قرع الأجراس وقد رنّت
انتصف الليل والساعة أزفت
للنوم! وأنا لم يزرني المنام
أغفو قليلا ثم أنهض على كوابيس الأحلام
لماذا النوم لم يزر أجفاني؟
لماذا الكآبة تُثقل وجداني؟
علي أن أفرح وأورليان قد انسحب
ولكن ما بي؟ إنني أخشى الفرح
أذكر أذينة قد قُتل، في نشوة النصر
بخنجر مسموم في الظلام
أنا لا آمن روما، إنها الغدر!
أخشاها في تراجعها
أكثر مما أخشاها في تقدمها
(متأملة.)
وهذه القافلة التي تصل يوم الانسحاب
مشية الجمال التي يئدها الحِمل والعذاب
وهي تترنّح بحملها والصناديق على ظهرها
كيف تسرعت وسمحت للقافلة
بدخول تدمر؟ لقد فقد أهل تدمر الحذر

بودي لو أقلق الظلام بكشف أمرها
لن تعرف جفناي النوم قبل أن أعرف مكنونها
ولكن ليس في عرف تدمر
فتح صناديق تجارة عابرة على أرضها!
لأذهب إلى غرفتي وأنام،
لعلّ كل ما يقلقني أضغاث أحلام
ولكن ماذا أسمع، قرقعة سلاح...
صياح رجال! نعم ماذا جرى؟
نيران تشتعل قرب الأسوار!
(يدخل العبد الروماني الآبق.)

العبد مولاتي! انجي بنفسك، إنها مؤامرة...!
دخل جيش أورليان المدينة وقتل القائد ظبي
ورجاله سيقتحمون قصرك
انجي بنفسك ولا تضيعي وقتك
(تخرج زنوبيا من باب سري، والعبد من آخر، يدخل جنود أورليان ومعهم نريسا دليلا لهم.)

نريسا هذه هي غرفة نومها!
(تُشير إلى الباب، يفتحه الجنود.)
لا أحد في الغرفة!

الجنود أورليان سخي في مكافأته
للقبض على زنوبيا!

نريسا ثمن زنوبيا لن يكون رخيصا
تعالوا معي لأدلّكم من أين تهرب
(يذهبون معها إلى مقدمة المسرح.)
(ترفع لوحة كبيرة لزنوبيا فيظهر وراءها باب، تشير إليه.)
هذا هو النفق السري!